

سورة التوبة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (32)

شرح الكلمات:

{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ} شرّعه وبرّاهينه وأدلة توحيده

{بِأَفْوَاهِهِمْ} بِأَفْوَاهِهِمْ فِيهِ

{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ} دينه وشرعه؛ ويعليه على سائر الأديان

والشرائع

{نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} ولو كره ذلك الجاحدون.

المعنى الإجمالي:

قوله تعالى {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} أي يريد اليهود والنصارى أن يطفئوا نور الله الذي هو الإسلام بأفواههم بالكذب والافتراء، والعيب والانتقاص، {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} ، وقد فعل فله الحمد وله المنّة، وأصبح الإسلام الظاهر على الأديان كلها .

ونور الله: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نوراً، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلاً.

{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ} لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريد به سوء، ولهذا قال: {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئاً.

وقال في معنى نور الله : " أي ما بعث به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الهدى ودين الحق بمجد جداهم واقترانهم ، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة ، وهذا لا سبيل إليه ، وكذلك ما أرسل به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا بد أن يتم ويظهر ، ولهذا قال - تعالى - ومقابلاً في ما راموه وأرادوه : { وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } .

هناك أناس يريدون أن يفسدوا الناس، يحملونهم على المعصية والفساد ويحاربون الله ورسوله :

1- إن شجعت الناس على السرقة والله نهي عن السرقة فإنما تحارب الله ورسوله.

2- إن شجعت الناس على الزنا والله حرم الزنا فإنما تحارب الله ورسوله.

3- إن شجعت الناس على الفساد في الأرض والله ينهي عن الفساد في الأرض فإنك تحارب الله ورسوله.

4- أشقى الأشقياء إطلاقاً هو الذي يقف في خندقٍ مُعَادٍ للدين، هو الذي يتحرك حركة ليطفى نور الله عز وجل، ويسفه الدعاة إلى الله، لتشييع الفاحشة في الدين آمنوا، ويعم الفساد في الأرض، هذا يحارب الله ورسوله.

عداوة الكفار للمؤمنين دائمة:

1- عداوة الكفار من أهل الكتاب ، والمشركين ، والمنافقين للمؤمنين قائمة إلى أن تقوم الساعة ، وصراع الحق والباطل باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

2- الإسلام يحكم المؤمنين بالعدل ويعطي كل ذي حق حقه ، وهم لا يريدون ذلك ، لذلك اجتهدوا في محاربة الدين ورد الحق بالباطل ، ولكن هيهات . فالدين باق والله متم نوره ولو كره الكافرون.

3- إن الكفار يريدون أن تقف أمم الأرض في الكفر صفاً واحداً

4- الذين كفروا ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله ، في كل زمان ومكان ، لنشر الفساد وإشعال الحروب وقتل المؤمنين.

5- الكفار مهما عملوا فعداوتهم لا تنقطع ، فهم وإن نطقت ألسنتهم بالموادعة ، فإن قلوبهم تأتي إلا العدر والكيد للإسلام وأهله.

6- أن طاعة الكفار مهما كانت سبباً للهلاك والخسارة وأن طاعته سبحانه هي سبيل العز والنصر والتمكين.

7- الكفار واليهود هم أحرص الناس على الحياة ، لأنهم يعلمون أنه لا حظ لهم في الآخرة ، فهم يكرهون الموت خوفاً مما بعد الموت.

أسباب النصر والتمكين ... بشرى للمؤمنين:

1- إخلاص النية ووضوح الهدف.

2- الصبر على العبادات.

3- تقوى الله في جميع الأمور والأحوال.

4- الإكثار من الذكر والدعاء.

5- طاعة الله ورسوله في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

6- محبة الله ورسوله.

7- الإعداد حسب الإستطاعة.

8- عدم الإرتياب في دين الله ، وكمال الثقة بنصره.

9- الجهاد بالمال والنفس.

10- عدم الخوف أو التردد للإمتثال لأوامر الله

وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (232)



32 قولنا من تفسير السورة النبوية الإلهية

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها (عزمي إبراهيم عزيز)

8- إن أعظم كرامة هي كرامة العلم، فإذا آمنت بالله حق الإيمان وانعكس إيمانك استقامة وعملاً صالحاً فأنت ولي من أولياء الله.

9- هم يريدون أن يطفئوا نور الله، فيظل الجرم الأعظم الجامع هو اعتقادهم بأنهم قادرين على تحدي إرادة الله في أن يحق الحق ويبطل الباطل بإرادة معاكسة في إبطال الحق وإحقاق الباطل {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ}، فهذه إرادة موجهة منهم نحو ذلك الغرض، ولهذا لا تخرج قبائحهم وشنائعهم مصادفة أو عرضاً، وإنما تحيي على وجه من التعمد والاستمرار والاستقرار؛ لغرض إطفاء نور الإسلام، وتشير إلى ذلك صيغة (المضارعة) فهم {يُرِيدُونَ} على وجه مستمر أن يطفئوا نور الله.

10- النور المذكور في الآية هو الدلائل الكثيرة الدالة على صحة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

11- إرادة كفار أهل الكتاب إطفاء ذلكم النور لم تكن مجرد رغبات أو تمنيات، بل كانت وستظل سعيًا بالأفعال والأقوال لإبطال أمر الرسول صلى الله عليه وسلم.

12- مع استمرار المكر الكبار من هؤلاء الكفار عبر القرون، إلا أن حصيلته هزيلة، وثمراته معيبة، مع كونها قليلة، ولهذا وصفت مساعيمهم لحجب هداية القرآن على أنها تجري مجرى من يريد إبطال مفعول نور الشمس بمجرد النفخ فيها.

13- إتمام النور الذي يأتي الله غيره، إشارة إلى أنه - سبحانه - يريد لنور الإسلام ألا يخفت أبداً.

14- { وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ } لأنه النور الباهر،

الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء،

والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- بيان عداة اليهود والنصارى للإسلام وتعاونهم على إفساده وإفساد أهله.

2- بشرى المسلمين بأنهم سيسودون العالم في يوم من الأيام ويصبح الإسلام هو الدين الذي يعبد الله به في الأرض لا غيره.

3- أن أعداء هذا الدين لا يزالون يجربونه ، ويعادونه ، ويجتهدون في إطفاء نوره ، وطمس معالمه ، والتضييق على دعوته ، وحرب أهله ؛ لأن الله - جل وعلا - عبر عن هذه الحقيقة بالآية القرآنية بالفعل المضارع الدال على الاستمرار .. { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ... } .

4- { يُرِيدُونَ ... } بالمضارع و { يُطْفِئُوا ... } بالمضارع ، والمضارع يدل على الاستمرار والدوام . والإرادة هي : عزم وجزم صادق بناءً على علم ودراية وعقل . فليست العداوة مجرد حالة طارئة ، ولا نزوة طائشة ، وإنما إرادة ماضية ، وإستراتيجية ثابتة ، وهذه الحقيقة هي من سنن الله - عز وجل - في الصراع بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

5- أن عاقبة ما يريده الأعداء لا تتم ولا تكمل ، فلا يحصل إنتفاء نور الله ، ولا يتحقق محوه من الوجود .

6- معنى { يَأْتِي ... } أي يجمع . ومن الذي يجمع هذا الإطفاء وهذه الجهود ضد الإسلام أن تبلغ مبلغها ، وأن تصل إلى غايتها قال الله عز وجل : { وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ... } . وإذا أراد الله شيئاً فإنه واقع .

7- أن الله - عز وجل - هو المتكفل ببقاء نور الإيمان ، والإسلام ، وبقاء هذا الدين ، وبقاء زمرة من أهله على الحق ظاهرين في كل زمان ومكان ، كما أخبر المصطفى - صلى الله عليه وسلم - في ما صح من حديثه . فإذا هذه حقيقة لا يمكن أن يتشكك فيها مسلم ومؤمن مطلقاً .